# الفصل الأول

# التاريخ العام للتنجيم

## أصل ظهور التنجيم:

في التنجيم مشكلة يجوز أن نطلق عليها: مشكلة الأصول. فلا أحد يعرف متى ظهر هذا الفن وكيف، إلا على وجه التقريب والاحتمال.

والكتاب الذين يؤمنون بالتنجيم وكتبوا فيه ـ مثل توكر ـ [١] يحاولون ما أمكن رد بدايات التنجيم إلى أقدم تاريخ ممكن، فهي عند بعضهم تعود إلى سنة ٣٧٦٩ قبل الميلاد، وآخرون يرجعون بالتنجيم إلى أكثر من ستة آلاف سنة. دون أن نتحدث عمن يؤرخ ظهوره بأكثر من خمسين ألف سنة[٢]، أو حتى ٤٧٠ ألف سنة. [٣]

وإنما يفعل أهل التنجيم ذلك لإضفاء شيء من المصداقية التاريخية على هذه الممارسة التي يدافعون عنها، والشيء كلما كان أوغل في القدم، كان الآن أرسخ وأثبت..

أما المؤرخون «المحايدون» فلهم تأريخ آخر للتنجيم، وهذا تقسيم أحدهم لمراحله وأصنافه[٤]:

**١ـ التنجيم الديني، وهو أقرب إلى أن يكون ديانة قائمة بذاتها، وهو مرحلتان:**

**الأولى**: وتسمى بالعصر قبيل التنجيم، وكان هذا في الألفية الثالثة قبل الميلاد، في زمن السومريين ببلاد الرافدين.

---

(١) William Tucker ، بريطاني له دكتوراه في العلوم، وهو مدير مجلة « العلم والتنجيم» الإنكليزية.

(٢) علم الغيب في العالم القديم، لشيشرون، ص ١٨٨.

(٣) انظر: (مبادئ التنجيم العلمي) Tucker : Principes d'astrologie scientifique, p 7 et après,.

(باطنية فلك البروج) Marguerite Mértens: L'occultisme du zodiaque, p 20 et après.

(٤) (الموسوعة الكونية، مقال التنجيم) Encyclopaedia Universalis, 3/279 à 286, article astrologie.

**الثانية**: وهي مرحلة أكادية بابلية، تغطي الألفية الثانية ق.م، وفيها ظهر التنجيم ببعض خصائصه المميزة.

**٢ـ التنجيم الأسطوري الباطني، حيث تختلط قصص الأساطير ببعض المفاهيم الباطنية والغنوصية. وقد ازدهر هذا النوع من التنجيم بمصر خاصة، واختلط فيها بالسحر، واعتبر طريقا للخلاص والتحرر النهائي للذات.**

**٣ـ التنجيم الكلاسيكي، أو التعليمي، ويمثله بطليموس[١] ومدرسة الإسكندرية. وهذا التنجيم يتنبأ بالمستقبل انطلاقا من حركات الكواكب، ولكنه يقتصر على استعمال الحساب والرموز دون أن يدخل فيه عناصر دينية أو باطنية. وغرض هذا التنجيم توجيه القرارات المتعلقة بالمستقبل[٢]، فهو يزعم أنه يحدد طبيعتها وطبيعة آثارها، من هنا سمي بالتنجيم الأحكامي، أو أحكام النجوم. وإذا أطلق لفظ التنجيم انصرف إلى النوع الثالث، أي الكلاسيكي.**

## أين ظهر التنجيم؟

هذا عن زمان ظهور التنجيم، أما عن مكانه فهو يدور بين احتمالات ثلاثة[٣]:

**الأول**: ظهر التنجيم بالهند.

**الثاني**: نشأ التنجيم بمصر، ومنها انتقل إلى بابل وغيرها. والتنجيم الفرعوني قديم جدا، يقول شيشرون: «المعتقد أن المصريين قد اكتسبوا بدورهم هذا الفن نفسه عن أجدادهم، خلال ماض سحيق يمتد إلى أجيال لا يكاد يحصيها العد.»[٤]

---

(١) Claude Ptolémée فلكي ومنجم وجغرافي يوناني. قام بملاحظاته الفلكية بالإسكندرية. ووضع كتابه «المجسطي» الذي عرض فيه نسقا فلكيا ساد إلى حدود النهضة، وفيه تصور الأرض مركزا للعالم. ويعتبر ابن الهيثم أحد الفلكيين القلائل الذين نقدوا فلك بطليموس، في كتابه: الشكوك على بطليموس. توفي سنة ١٦٨م.

(٢) انظر نماذج لتنبوءات تنجيمية وجدت في ألواح قديمة: Paul Couderc: L'astrologie, p 91.

(٣) راجع: Tucker : Principes d'astrologie scientifique, p 10 ـ ١١.

Mme Mértens : Occultisme du zodiaque, p 17 à 20.

T. Subba Rao : Les douzes signes du zodiaque. Un article de l'écrivain indien que Mme Mértens a reproduit dans son livre, p 183.

P. Couderc : L'astrologie, p 59.

(٤) علم الغيب في العالم القديم ، ص ٣٦. هذا الكتاب لشيشرون، أكبر الكتاب اللاتين، كان له دور =

**الثالث**: بل ظهر ببلاد ما بين النهرين، أي العراق وما حواليه. وربما كان هذا رأي الأكثر. يقول شيشرون: «إني لأعلم أن ليس بين الأمم ـ المهذب والمتعلم منها، أو الهمجي والجاهل فيها ـ من لا يرى بأن هناك شواهد تنبئ عن حوادث المستقبل، وأن بين الناس من يستطيع معرفة هذه الشواهد والتنبؤ بالحوادث قبل وقوعها. فإذا التمسنا شاهدا ـ على ما أسلفنا ـ في الماضي السحيق، وجدناه في الأشوريين، فقد مكنتهم سعة السهول التي أقاموا في رحابها، ومنظر السماوات التي تمتد مكشوفة على مدى البصر في كل صوب، من أن يلاحظوا مسالك الكواكب، وأن يرقبوا حركاتها فسجلوا ما أدته إليهم مشاهداتهم، وورثوا الأجيال التي أعقبتهم ما تحمله حركات الكواكب من دلالات على حظوظ الناس. ومن أبناء هذا الشعب نفسه عرف الكلدانيون... والمظنون أنهم واصلوا ملاحظة المجموعة النجمية زمانا طويلا، واستغلوا هذه المشاهدات في إقامة علم يمكنهم من التنبؤ بحظوظ الناس، ومعرفة المصير الذي قدر لهم»[1].

وهذا الرأي هو الغالب على علماء المسلمين وكتابهم قديما، يقول القاضي صاعد: «وكان من الكلدانيين علماء من أجل الناس فضلا وحكما، متوسعون في فنون المعارف، من المهن التعليمية، والعلوم الرياضية والإلهية. وكانت لهم عناية بأرصاد الكواكب وتحقق بعلم أسرار الفلك، ومعرفة مشهورة بطبائع النجوم وأحكامها وخواص المولدات وقواها. وهم نهجوا لأهل الشق الآخر من معمور الأرض الطريق إلى تدبير الهياكل، لاستجلاب قوى الكواكب وإظهار طبائعها وطرح شعاعاتها عليها، بأنواع القرابين المؤلفة لها، وضروب التدابير المخصوصة بها، فظهرت منهم الأفاعيل الغريبة، والنتائج العجيبة، من إنشاء الطلسمات وغيرها من صناعة السحر. وأشهر علمائهم عندنا وأجلهم هو هرمس البابلي. ومن علمائهم. برجس صاحب كتاب أسرار النجوم. ومنهم واليس. ومنهم اصطفن..»[2]

---

= سياسي بروما، وقتل سنة ٤٣ قبل الميلاد. له عدة كتب في الخطابة والفلسفة (عن موسوعة petit Robert، وأكثر التراجم الأجنبية أخذتها من هذه الموسوعة).

(١) علم الغيب.. ، ص ٣٥ ـ ٣٦.

(٢) طبقات الأمم، ص ٢٤ ـ ٢٥. وصاحبه قاضي طليطلة، هو أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي التغلبي. ولد بألمرية سنة ٤٢٠هـ ، وتوفي سنة ٤٦٢هـ ، من كتبه: تاريخ الإسلام. تاريخ الأندلس. =

والقرآن الكريم أشار إلى أن قوم إبراهيم عليه السلام كانوا نجامين، وقد عاش النبي الكريم ببابل حوالي ١٨٠٠ ق.م، وكانت تحت حكم الكلدان. لكن هذا لا يدل على نفي المعرفة بالتنجيم عن غير البابليين، ولا نفي وجوده قبل زمن إبراهيم عليه السلام.

ومن الملاحظ أن الشكل العام لفلك البروج Zodiaque، معروف وموجود عند كثير من الشعوب، ويتشابه هذا الشكل عندها، وهو تقريبا نفسه عند المصريين واليونان والفنيقيين، بل حتى عند سكان البيرو بأمريكا اللاتينية، أي الهنود الحمر، فالحمل ـ عند غيرهم ـ استبدلوه بحيوان اللاما عندهم[١].

ولذلك فبعض الكتاب يرفض أي تحديد نهائي لظهور التنجيم، فلهذا أصل ضائع في الماضي السحيق الذي لا علم لنا به[٢].

## كيف ظهر التنجيم؟

ولئن كنا نملك بعض المعلومات عن مكان نشوء التنجيم وزمانه، فمعلوماتنا أقل وأشح بالنسبة إلى موضوع آخر، هو كيف ظهر التنجيم، وبأي منطق نشأ؟

ويبدو أن الإنسان لاحظ في البداية كيف أن مجموعة من الظواهر الأرضية ترتبط بالسماء وأفلاكها: فالشمس مثلا توفر له النور والحرارة والحياة.. وبحسب وضعها في الفلك تكون الفصول.. والقمر يتسبب في حركات المد والجزر، وله دور في كسوف الشمس.. من ذلك يظهر أن الإنسان القديم استنتج أن قوة هذه الكواكب لا بد أن تتحكم أيضا في الشؤون البشرية على وجه الأرض[٣].

ويخمن توكر أن أهم ملاحظة أثارت اهتمام هذا الإنسان فاستند إليها واستثمرها هو اكتمال البدر، فهذه ظاهرة دورية تحدث مرة في الشهر، وفي كل مرة

---

= إصلاح حركات النجوم. مقالات أهل الملل والنحل... عن الأعلام للزركلي، ٣/ ٢٧١. يقصد بهرمس شيثان: هرمس الإله اليوناني. وهرمس الإنسان الحكيم الذي أسس المعرفة، وهو بابلي أو مصري، وتنسب إليه المجموعة الهرمسية. فهذه أسطورة.

(١) L'occultisme du zodiaque, p 21. وانظر مقال سوبا راو بالكتاب نفسه، ص ١٨٣ فما بعدها.

(٢) L'occultisme du zodiaque, p 21.

(٣) L'astrologie, p 20.

يكون وضع القمر بالنسبة إلى مجموعات نجوم المجال الدائري لفلك البروج مختلفا. لكن بعد اثني عشر اكتمالا يعود القمر إلى مكانه الأول، ومن هذا قسم الإنسان السماء إلى اثني عشر مجالا، أطلق عليها فيما بعد اسم: البروج[١].

## التنجيم مع اليونان:

ولما كان للإغريق اتصال وثيق بالحضارات الشرقية المجاورة لهم، والتي بها ظهر التنجيم، خصوصا: مصر، وبلاد الرافدين. فقد أخذوا عنهم مبادئ الفلك والتنجيم مختلطة، كما كانت عند القدماء.

وفي اليونان شغف بالتنبؤ ودرك المستقبل ـ كما يدل على ذلك ما كانت تحظى به معابد الكهانة من شأن وقيمة بينهم ـ ، ولذلك اعتنوا بالتنجيم وطوروه[٢].

وقد كان فيثاغورس ـ في القرن السادس قبل الميلاد ـ أحد هؤلاء المستفيدين من علوم ومعارف تلك الحضارات، فساهم بشكل غير مباشر، وبفضل اكتشافاته في الفلك، في تطوير التنجيم الكلداني، خصوصا أنه كان يعتقد أن الكون مثل الأرض، كلاهما كروي الشكل[٣]. لكن المساهمة الأهم لفيثاغورس ومدرسته انصبت على التنجيم الباطني الأسطوري[٤].

وعلى العموم فإن اليونان عرف التنجيم البابلي بداية من القرن الرابع قبل الميلاد، في الغالب بسبب غزوات الإسكندر الأكبر وما صاحبها من التعرف عن قرب على الديانات والمعتقدات الكلدانية[٥]. ثم حوالي سنة ٢٨٠ ق.م أصبح للقارئ اليوناني معلومات أوفر عن التنجيم، بفضل كتابات كاهن بابلي عاش باليونان، اسمه بيروز. أما الانتشار الحقيقي للتنجيم في بلاد الإغريق، فقد تأخر إلى القرن الثاني قبل الميلاد، فظهر منجمون اتخذوا من هذا الفن حرفة[٦]. وساعد

---

(١) Principes d'astrologie, p 11 ـ ١٢.

(٢) Ency.Uni. 3/284, art astrologie.

(٣) Principes d'astrologie scientifique, p 15 ـ ١٦.

(٤) Encyclopaedia Universalis, 3/285.. وفيثاغورس رياضي يوناني، له فلسفة في علاقة الأرقام بالوجود.

(٥) (الكهان ومعابد الكهانة عند اليونان) Devins et Oracles grecs, p 29 ـ ٣٠. : Robert Flacelière

(٦) (الإغريق واللاعقل) Les Grecs et l'irrationnel, p 235. E.R. Dodds :. والكاهن البابلي هو Bérose.

على ذلك كتابات هيباركوس[١].

فلما جاء بطليموس قدم أهم عمل لصالح التنجيم، وهو كتابه تيترابيبلوس (أو «الكتب الأربعة»)، الذي يعتبره الغربيون أهم وأقدم مؤلف تنجيمي وصل إلينا. وفيه خلاصة وافية ومركزة لهذا الفن، حتى صار ـ بتعبير توكر ـ الإنجيل الحقيقي للمنجمين[٢]. وقد خلط بطليموس في تنجيمه بين كل اللغات: لغة الأسرار الباطنية، ولغة الرياضيات، ولغة علم الفلك الناشيء[٣].

وكان من أهم ما أضافه الإغريق إلى التنجيم: توسيع قاعدته من المعلومات الفلكية. ووضع الطالع الخاص بالفرد، وبذلك ظهر التنجيم الأحكامي. والربط بين العناصر الأربعة والطبائع الأربعة، وبين الكواكب... [٤]

## موقف الفلاسفة الإغريق من التنجيم:

رغم المعارضة التامة لبعض علماء الفلك اليونان للتنجيم، أمثال: أودوكسوس، وكارنيادس[٥]. إلا أن أهم الفلاسفة ـ على العكس من ذلك ـ ساهموا في تثبيت التنجيم وترسيخ مشروعيته.

لقد ساعدت أكبر المدارس الفلسفية ـ بصفة غير مباشرة ـ على انتشار التنجيم: الأفلاطونية، والأرسطية، والرواقية. وذلك بسبب فلسفتها الإلهية في موضوع السماء والنجوم[٦].

---

(١) Principes d'astrologie scientifique, p 18.. و Hipparque فلكي ورياضي يوناني عاش بالقرن الثاني ق.م، وهو أقرب إلى المنهج العلمي من الفلكيين الإغريق الذين سبقوه. وهو الذي اكتشف ظاهرة «مبادرة الاعتدالين»، كما نقل بعض الفلك البابلي إلى اليونان.

(٢) Principes d'astrologie..., p21. ، كان بالهند كتاب «السندهند»، لعله أقدم.

(٣) Encyclopaedia, 3/285.

(٤) L'astrologie, p 94. Principes d'astrologie...p 18 ـ ١٩.

(٥) L'astrologie, p 92.. أما Eudoxe فلكي وفيلسوف إغريقي توفي سنة ٣٥٥ ق.م، وضع فلكا على أساس من فلسفة أفلاطون، وعمله هذا اعتبر بداية لعلم الفلك اليوناني. وهو غير أودوكسوس الرحالة الذي عاش بالقرن الثاني ق.م. وكارنيادس Carnéade فيلسوف وخطيب يوناني، كان على رأس الأكاديمية لفترة، وتوفي سنة ١٢٩ ق.م. (عن موسوعة .( Alpha

(٦) Les Grecs et l'irrationnel, p 235.

أفلاطون مثلا كان يعتقد بنوع من ألوهية النجوم[١]، والأرض عنده هي أول الآلهة وأقدسها، سوى الإله الصانع[٢]. ولذلك يتساءل بعض الكتاب إن كان لأفلاطون شكل من الديانة التنجيمية[٣].

لكن ـ كما يقول كوديرك[٤] ـ لا أحد ساهم مثل أرسطو ـ وهو صاحب التأثير الكبير في الفكر اليوناني والإنساني ـ في التمهيد لانتشار التنجيم والمساعدة على الاعتقاد فيه. . وهي المساهمة التي امتد أثرها إلى الأزمنة الحديثة[٥].

ويمكن أن نتلمس في فيزياء أرسطو شيئا من معالم هذه المساهمة. فالعالم ـ عنده ـ غير كائن، ولا يفسد، أي أن وجوده أزلي، لا أول له ولا آخر[٦]، وفي وسطه توجد الأرض الساكنة[٧]. والجرم السماوي المتحرك في حركة دورية لا تنتهي، هو موضع الروحانيين الذين لا يلحقهم كون ولا فساد، ولذلك هو لم يتغير أبدا، وهو أزلي رغم تناهيه في المقدار[٨].

ومن أسباب مسؤولية أرسطو عن انتشار التنجيم تقسيمه العالم إلى علوي وسفلي، حيث مدبر كل شيء في الكون هو العالم العلوي، وبالأخص الفلك الأول الذي يعتبر ـ أكثر من باقي الأفلاك ـ مبدأ الحياة وعلة الوجود للأشياء الحية وغير الحية، بينما الصانع يحرك هذه الأفلاك في البداية فقط [٩].

ويستأنس أرسطو في بعض آرائه هذه بالكلدانيين «الذين كانت فيهم الحكمة موجودة قديما ثم بادت» [١٠].

---

(١) Marcell Boll: L'occultisme devant la science, p 35.. ( ترجمة عنوان الكتاب: الباطنية أو الفنون الخفية وجها لوجه أمام العلم).

(٢) (محاورة طيماوس ) Platon : Timée, p 40. والصانع هو Démiurge.

(٣) Introduction à Timée, p 36 : ـ Rivaud Albert٣٧ . وصاحب التقديم والترجمة ريفو أستاذ بكلية الآداب ببواتييه بفرنسا.

(٤) Paul Couderc فلكي فرنسي كان يعمل بمرصد باريس، في سنوات ١٩٥٠.

(٥) L'astrologie, p 92.

(٦) تلخيص السماء والعالم، لابن رشد الحفيد، ص ١٤٢ فما بعدها. ص ١١٨. والأصل لأرسطو.

(٧) تلخيص السماء والعالم، ص ٢٦٨.

(٨) تلخيص السماء والعالم، صفحات ٧٧ ـ ٨٧ ـ ١٧٨.

(٩) تلخيص السماء والعالم، ص ١٨٨، ٢٤٩.

(١٠) تلخيص السماء والعالم، ص ٨٨. وانظر ص ١٨٨ ـ ١٨٩.

أما في الرواقيين فقد عرف بالدفاع عن التنجيم بوزيدونيوس بالخصوص[١]. ويكاد بانياتيوس يكون الرواقي الوحيد الذي أبى التنجيم[٢].

هذا مقال أكثر الفلاسفة، لكن كان بينهم من هاجم التنجيم، خصوصا من الأبيقوريين[٣]، ومن الاتجاه الشكي، حيث كتب أومبيريكوس كتابا ضد التنجيم[٤]. ومن الرافضين أيضا لنبوءات أهل النجامة يودوكسوس[٥].

**الرومان:**

اعتقد الروم بدورهم في التنجيم، وكان قد انتقل إليهم من العبيد الذين جلبتهم روما من شرق البحر المتوسط، ثم ما لبث أن تغلغل بين جميع طبقات الشعب.

وقد حاول بعض الحكام الرومان منع هذه الممارسة، فصدرت مراسيم في عهود أغسطس، ودوميتيانوس، وأدريانوس. . . . ولكن دون جدوى، بل على العكس من ذلك سرعان ما تحول أكثر الأباطرة والحكام الرومان إلى التنجيم، فلجؤوا إلى المنجمين واتخذوا منهم مستشارين. من هؤلاء الحاكمين: كراشوس، وسيلا، وقيصر، وأكريبين التي كان لها تأثيرها في الحكم عن طريق زوجها كلوديوس، ونيرون[٦].

واشتهر بالخصوص تيبيريوس، الإمبراطور الذي عاصر المسيح عليه السلام، بكثرة ممارسة التنجيم وشدة استعماله[٧].

---

(١) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص ١٠٦. و Posidonius فيلسوف أسس مدرسة برودس. توفي سنة ٥١ ق.م بروما.

(٢) علم الغيب في العالم القديم، ص ١٨٣. و Panetius درس بأثينا، ورحل إلى روما، توفي سنة ١١٠ ق.م.

(٣) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، لجفري بارندر ، ص ١٠٦.

(٤) Quelques sciences captivantes ,p206. وهو Sextus Empiricusفيلسوف وفلكي وطبيب يوناني. عاش بالإسكندرية وأثينا. لقب بالإمبريقي، لأنه أدخل المنهج الإمبريقي في الطب. كتبه الفلسفية هي أهم المصادر في موضوع المدرسة الشكية والرواقية القديمة. وبعضها وصل إلينا.

(٥) علم الغيب... لشيشرون ، ص ١٨٢.

(٦) L'astrologie, p 94 - 95 وهم بالحرف اللاتيني : Sylla. Gracchus. Adrien . Domitien. Tibère. Néron. Agrippine. César.

(٧) ( Paul Petit : Précis d'histoire ancienne, p276.مختصر التاريخ القديم ).

ومن هؤلاء أيضا هرقل، الذي كان حاكما على إمبراطورية الشرق في عهد النبي العربي ﷺ، ففي الحديث الطويل الذي رواه البخاري عن بدء الوحي أن هرقل أصبح يوما خبيث النفس، وكان حزاء ينظر في النجوم، فنظر فيها ليلة ورأى ملك الختان قد ظهر. فاغتم لذلك[١].

ومعنى «خبيث النفس» أي مهموما، وقد تستعمل في كسل النفس. أما الحزاء فهو الكاهن أو المنجم. وهذه القصة وقعت في العام الثامن للهجرة. وكان هرقل يشتغل بحساب التنجيم فظهرت له أشياء توجب اقتراب ملك العرب، فاغتم لذلك. وذكروا من هذه الأشياء أن المولد النبوي كان بقران العلويين ببرج العقرب، وأن هذا البرج مائي، وهو دليل ملك القوم الذين يختتنون، فكان ذلك دليلا على انتقال الملك إلى العرب[٢].

## قصة القديس أغسطين مع التنجيم:

وهي قصة تلقي بعض الضوء على حال التنجيم في القرون الأولى بعد الميلاد، وكيف تعامل معه مثقفو ذلك العصر. ومن هؤلاء أغسطين الذي نشأ بقرطاجة، ثم تابع دراسته بروما. وقد بدأ باكرا رحلته في البحث عن الحقيقة التي توهمها في البداية في الديانة المانوية، فهذه كانت تقدم حلا جيدا ـ في الظاهر ـ للمشكلة التي شغلت أغسطين كثيرا: ما هو أصل الشر؟

وبعد هذه المرحلة، اتصل أغسطين الشاب بالكهنة وسدنة المعابد، لكنه حين عرف طمعهم وتلاعبهم بالقرابين واستعانتهم بالشياطين. تركهم وتحول إلى المنجمين، فهؤلاء ـ على الأقل ـ ليس لهم قرابين ولا شياطين، بل يحملون أخطاءنا وذنوبنا للسماء والكواكب. ووجد في صدق بعض توقعاتهم دليلا على صحة هذا التنجيم الذي يمارسونه[٣].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، حديث رقم ٧، وفي التفسير، حديث ٤٥٥٣... ومسلم في المغازي، وأبو داود في الأدب، والترمذي في الاستئذان، والنسائي في التفسير، وعبد الرزاق في المصنف عن معمر عن الزهري.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ، ١/ ٦٠. وقارن بـ: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، ١/ ٨٧.

(٣) (الاعترافات، لأغسطين)Augustin : Les confessions, Livre IV, p 91 ـ . . Saint و أغسطين ولد

=

وهكذا اعتكف أغسطين زمانا على كتب التنجيم حتى أتقن هذا الفن. وفي هذه الفترة التقى بشيخ ما لبث أن صار صديقا له، ونصحه بترك التنجيم وصرف جهوده إلى ما هو أولى، وحدثه الشيخ أنه في شبابه كان قد قرر أن يكسب عيشه ـ طيلة حياته كلها ـ بالتنجيم وحده، حتى تبين له فساد هذه الممارسة[١].

لكن أغسطين لم يقتنع بهذا الكلام ولا باعتبار الشيخ أن الصدفة وحدها هي التي تفسر ما تحقق من تنبوءات المنجمين، ولا حتى بنصائح صديقه الشاب نبيريديوس. لقد كانت في نظره مكانة الكتاب الذين ألفوا في التنجيم عالية ومرموقة، تضفي المصداقية الكافية على هذا «العلم»[٢].

وبعد هذا بزمان وجد أغسطين الدليل القاطع على فساد صنعة التنجيم، وذلك في القصة التي رواها له صديقه الثقة والمتعلم فيرمينوس. حدثه أن أباه كان جد متحمس للتنجيم، وأنه لفرط كلفه به كان يدرس حتى طالع الحيوانات التي تولد في حظيرته الخاصة. وكان لهذا الأب صديق له الاهتمام والحماس نفسه[٣].

وقد اتفق أن ولد لهذا الأب طفل ـ هو الراوي فرمينوس ـ ، في الوقت نفسه الذي ولد لهذا الصديق طفل آخر من أمة كانت عنده. وقد سجل الأبوان بكامل الدقة مطلع ابنيهما وحال السماء عند ولادتهما، فوجدا أن طالعهما واحد لا يختلف، ولذلك عنَّ لهما أن يتابعا حال الصغيرين وما يحدث لهما، فكانا يتبادلان المعلومات باستمرار، واستمر هذا الوضع زمانا.

ورغم ذلك فإن فرمينوس ـ ابن العائلة الغنية ـ أصبح حين شب يحتل مكانة مرموقة وعالية في حياته الخاصة والعامة، بينما ظل ابن صديق الأب عبدا يخدم أسياده.

وجد أغسطين في اختلاف مستقبل الطفلين ـ اللذين ولدا في اللحظة ذاتها ـ بيانا شافيا صرفه نهائيا عن الاعتقاد في التنجيم[٤].

---

= بتونس، ودرس بقرطاجة وروما. من أهم فلاسفة المسيحية. أهم كتبه: مدينة الله. توفي سنة ٤٣٠م.

(١) Les confessions, p 92 ـ ٩٣.

(٢) Les confessions, p 93.

(٣) Les confessions, Livre VII, p 171.

(٤) Les confessions, p 172 ـ ١٧٣.

وسنرى في مبحث نقد التنجيم كيف تشكل حالة مماثلة ـ وهي التوائم ـ تحديا واضحا لمقررات هذا الفن.

## لمحة عن تاريخ التنجيم في الإسلام:

اعتبر القاضي صاعد الأندلسي أن أول العلوم التي اعتني بها في ديار المسلمين علما المنطق والنجوم[١]. ويبدو أن المصادر التي استفاد منها المسلمون التنجيم مصادر متنوعة. ويذكر صاعد أن التنجيم من علوم الهند الأساسية، وكذلك كان للفرس معرفة ثاقبة بأحكام النجوم وتأثيراتها في العالم السفلي، ولهم في ذلك كتب جليلة، كما قال[٢]. فهذان مصدران، والثالث يوناني[٣]. ولم يعرف المسلمون علم النجوم البابلي ـ بشقيه ـ بشكل مباشر، يقول القاضي صاعد: «لم يصل إلينا من مذهب البابليين في حركات النجوم وصورة هيئة الفلك مذهب مستقصى ولا جملة ولا عندنا من آدابهم غير الأرصاد التي نقلها بطليموس عنهم في المجسطي.»[٤]

ويذكر بروكلمان أن «مفتاح أسرار النجوم»، وهو كتاب هرمسي في التنجيم، ترجم في العصر الأموي، ولذلك يقول: إن هذه الترجمة قد تكون أقدم ترجمة لمصنف غير ديني وصلت إلينا. وكان الفراغ منها سنة ١٢٥ هـ[٥].

ولكن هذا ـ لو صح ـ عمل معزول، ولا يعرف عن العصر الأموي أي اشتغال معتبر بالتنجيم، وإنما ذلك حدث في الدولة العباسية. وهنا قولان، الأول ينسب إدخال التنجيم في الأمة إلى الخليفة أبي جعفر المنصور الذي توفي سنة ١٥٨هـ. والثاني ينسبه إلى حفيده الخليفة المامون، المتوفى سنة٢١٨هـ.

القول الأول: وعليه قرائن، إذ يقول عنه صاعد الأندلسي إنه أول من عنى

---

(١) طبقات الأمم، ص ٦٦. و«النجوم» هنا هو الخليط القديم من الهيئة والتنجيم.

(٢) طبقات الأمم، ص ١٦، ص ٢٠ ـ ٢١.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، مقال التنجيم، ٥/ ٤٩٤. ويضيف صاحب مقال التنجيم في الموسوعة الفرنسية مصدرا رابعا هو سوريا. ويقول توجد مصادر أخرى لم تدرس جيدا، وهي مصادر شفوية بالأساس، يهودية وأرامية وصابئية. انظر .Encyclopaedia Universalis, 3/289

(٤) طبقات الأمم ، ص ٢٥.

(٥) تاريخ الأدب العربي، ٤/ ٩٠. كارل بروكلمان مستشرق ألماني كبير، له أيضا تاريخ الشعوب الإسلامية.

بالعلوم، وكان متقدما في علم الفلسفة وصناعة النجوم، كلفا بها وبأهلها[١]. ويقول حاجي خليفة في مقدمته في أحوال العلوم: «واعلم أن علوم الأوائل كانت مهجورة في عصر الأموية، ولما ظهر آل العباس كان أول من عنى منهم بالعلوم الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور. وكان رحمه الله تعالى مع براعته في الفقه مقدما في علم الفلسفة، وخاصة في النجوم، محبا لأهلها.»[٢]

وفي عهد المنصور تمت ترجمة أعظم كتاب فلكي للهند، وهو المعروف بـ «السند هند»[٣]. ويذكر بعض المؤرخين والمنجمين أخبارا تدل على أنه كانت للمنصور عناية بالتنجيم ورعاية لأصحابه، حتى إنه وضع أساس مدينة بغداد في وقت عينه له المنجمون[٤].

وبعض الكتاب لم يرتض هذا، يقول الدكتور يوسف السعيد: «المنصور ومن أتى بعده من خلفاء بني العباس لديهم غيرة على الدين... وليس الخليفة المنصور ممن يجهل خطر التنجيم على الإسلام... (وما ذكر) منقول عن منجمين، ولا ريب أنهم يريدون أن يجعلوا لصنعتهم أصلا، ثم إنهم غير ثقات، لأن الكذب في المنجم مما لا يختلف فيه عاقلان... وأما كون ابن نوبخت وغيره ظهروا في زمن المنصور، وكانوا يدخلون عليه، فلا يعني أنه كان يأخذ بأقوالهم.. (و) لا يعني أنه توجه للدولة في زمن المنصور»[٥].

على أن التنجيم إذا لم يكن توجها للدولة العباسية في أول عهدها، إلا أن الاهتمام به والاشتغال بحساباته أمر بدأ يتسرب إلى الأمة، وتم ذلك على الخصوص على يد طوائف من أهل الكتاب، ومن الصابئين والفرس.. وكان بعضهم قد أسلم، فيما الآخرون ظلوا على معتقدهم القديم. ففي زمن المنصور

---

(١) طبقات الأمم، ص ٦٤.

(٢) كشف الظنون، ١/ ٣٤. وحاجي خليفة، المعروف أيضا بكاتب جلبي، مؤرخ للعلوم، توفي بالقسطنطينية عام ١٠٦٧هـ، انظر: معجم المؤلفين، ١٢/ ٢٦٢.

(٣) انظر: طبقات الأمم، ص ٦٧. محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية، لفؤاد سزكين، ص ١٧٥ فما بعدها. ومعنى «السندهند»: الدهر الداهر، كما في طبقات الأمم، ص ١٦.

(٤) راجع بعضها في مقدمة محقق كتاب الخطيب البغدادي: القول في علم النجوم، ص ١١٠ ـ ١١١.

(٥) في مقدمته لكتاب الخطيب «القول في علم النجوم»، ص ١١١ ـ ١١٢. وهو يوسف بن محمد السعيد أستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض بالسعودية.

مثلا ظهر أول منجم في عصره ـ كما يقول بروكلمان ـ ، وهو ما شاء الله (أو منسى) بن أثري البصري اليهودي، المتوفى حوالي سنة ٢٠٠ هـ. له كتاب الدول والملل والقرانات والحوادث، في التنجيم. ووصفه ابن النديم بأنه أوحد أهل زمانه في علم الأحكام، يعني التنجيم[١].

وظهر أيضا أبو سهل الفضل بن نوبخت، الفارسي الأصل، والذي أصبح فيما بعد خازنا لمكتبة هارون الرشيد المسماة بمكتبة الحكمة. له في التنجيم: سرائر من أحكام النجوم. والفأل النجومي. وكتاب المواليد. وكتاب المنتخل من أقاويل المنجمين في الأخبار والمسائل والمواليد. . . [٢]

وأبو يوسف يعقوب بن علي القرصي القصراني هو الآخر من منجمي القرن الثاني[٣]. غير أن صاعدا يقول إن محمد بن إبراهيم الفزاري الذي ترجم للمنصور كتاب «السند هند» هو أول من اشتهر في مملكة الإسلام بالتنجيم[٤].

القول الثاني: فلما جاء المأمون ـ غفر الله تعالى له ـ أسس بيت الحكمة، وعهد إليه بترجمة كثير من كتب الأقدمين في مختلف العلوم والمعارف، ومنها التنجيم الذي شق ـ مذاك ـ طريقه بين المسلمين، فظهر بينهم منجمون لا يقلون «براعة وعلما» عن المنجمين غير المسلمين الذين عاشوا في ظل الدولة الإسلامية. يقول القاضي صاعد عن المامون: «أقبل على طلب العلم في مواضعه واستخرجه من معادنه، بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة، فداخل ملوك الروم وأتحفهم بالهدايا الخطيرة وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة، فبعثوا إليه بما حضرهم من كتب أفلاطون و أرسطاطاليس وأبقراط وجالينوس وأقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة، فاستخارلها مهرة التراجمة وكلفهم إحكام

---

(١) الفهرست لابن النديم، ص ٣٣٣. تاريخ الأدب العربي، ٤/ ١٩٦ ـ ١٩٧. وصاحب الكتاب المعروف بالفهرست، هو أبو الفرج محمد بن إسحاق البغدادي، عرف بابن النديم، ويقال له أيضا الوراق، وكانت تلك مهنته. عالم وأديب، له أيضا: التشبيهات. توفي سنة ٤٣٨هـ. عن معجم المؤلفين ، ٩/ ٤١.

(٢) الفهرست، ص ٣٣٣. طبقات الأمم، ص ٨١. تاريخ الأدب العربي، ٤/ ٢٠٠.

(٣) تاريخ الأدب العربي، ٤/ ١٩٨.

(٤) طبقات الأمم، ص٦٧، ٨٠.ويذكر ابن النديم شخصا اعتبره أول من عمل في الإسلام اسطرلابا، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب الفزاري.

ترجمتها، فترجمت له على غاية ما أمكن، ثم نهض الناس على قراءتها، ورغبهم في تعليمها، فنفقت سوق العلم في زمانه وقامت دولة الحكمة في عصره، وتنافس أولو النباهة في العلوم لما كانوا يرون من احظائه لمنتحليها، واختصاصه لمقلديها، فكان يخلو بهم، ويأنس بمناظرتهم، ويلتذ بمذاكرتهم، فينالون عنده المنازل الرفيعة، والمراتب السنية، وكذلك كانت سيرته مع سائر العلماء، والفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين، وأهل اللغة والأخبار والمعرفة بالشعر والنسب، فأتقن جماعة من ذوي الفنون والتعليم في أيامه كثيرا من أجزاء الفلسفة، وسنوا لمن بعدهم منهاج الطب ومهدوا أصول الأدب، حتى كادت الدولة العباسية تضاهي الدولة الرومية أيام اكتمالها وزمان اجتماع شملها»[١].

ثم قال: «ولم يزل خواص من المسلمين، وغيرهم من المتصلين بملوك بني العباس وسواهم من ملوك الإسلام، مذ ذلك الزمن إلى وقتنا هذا يعتنون بصناعة النجوم والهندسة والطب وغير ذلك من العلوم القديمة، ويؤلفون فيها الكتب الجليلة، ويظهرون منها النتائج الغريبة»[٢].

وقد تزامن ظهور التنجيم مع دراسة علم الفلك، حتى إن كثيرا من الفلكيين عرفوا بالتنجيم أيضا. يقول بروكلمان: «ارتبط بهذا الاهتمام بالفلك الاعتقاد الخرافي في علم التنجيم، الذي كفل لعلم الفلك رعاية الأمراء خاصة، على أساس أنه التطبيق العملي لعلم الفلك»[٣].

ومن هؤلاء المنجمين الذين قربهم المامون إليه: أبو أحمد يحيى بن أبي منصور، وكان اسمه قبل إسلامه زيست، ووصفه صاعد الأندلسي بكبير المنجمين في عصره[٤]. ومنهم عمر بن الفرخان الطبري، الذي توفي حوالي سنة ٢٠٠ هـ، وله في التنجيم كتب منها: رسالة في أحكام المواليد. والرسالة في استخراج الضمائر بطريق النجوم[٥]. وابنه أبو بكر محمد بن عمر هو الآخر ـ عند ابن النديم

(١) طبقات الأمم، ص ٦٥. والمامون هو عبد الله بن هارون الرشيد.

(٢) طبقات الأمم، ص ٦٩.

(٣) تاريخ الأدب العربي، ٤/ ١٩٦. الضمير في «أنه» يعود على علم التنجيم.

(٤) طبقات الأمم، ص ٦٨.

(٥) طبقات الأمم، ص ٧٥. تاريخ الأدب العربي، ٤/ ١٩٨ ـ ١٩٩.

ـ من أفاضل المنجمين[١]. ومنهم أيضا أبو الطبيب سند بن علي اليهودي، الذي أسلم على يد المامون[٢]. أما المنجم أبو عثمان سهل بن بشر الإسرائيلي المتوفى سنة ٢٣٥ هـ، فقد اختص بالحسن بن سهل وزير المامون[٣].

## ومن منجمي القرن الثالث[٤]:

أبو علي يحيى بن غالب الخياط، «من أفاضل المنجمين»، وهو تلميذ «ما شاء الله»، من كتبه: سر العمل، وأحكام المواليد. وابن هبنتا المنجم النصراني، صاحب كتاب المغني. وأبو بكر الحسن ابن الخصيب الفارسي الكوفي، له المقنع في المواليد. وأحمد بن عبد الله حبش الحاسب المروزي، وتلميذه أحمد البازيار. وأبو العنبس محمد بن إسحاق الصيمري، القاضي بالصيمرة، إحدى قرى البصرة، وقد عاش في قصر المتوكل والمعتمد، وتوفي عام ٢٧٥ هـ، له: أصل الأصول في خواص النجوم وأحكام المواليد. وأبو الحسن ثابت بن قرة الحراني، المتوفى سنة ٢٨٨ هـ، أدخله المعتضد في جملة المنجمين.

**وقد عرف هذا القرن منجمين اثنين بارزين:**

**١ـ أبو يوسف يعقوب الكندي. ترك رسائل كثيرة في التنجيم، وصل إلينا عدد منها: رسالة في ملك العرب وكميته. ورسالة في صلة روحانيات الكواكب.. وغيرها[٥]. وكان الكندي قد تنبأ سنة ٢٥٦ هـ بأن الدولة العباسية ـ التي كان يهددها القرامطة ـ ما زال لها من العمر أربعمائة وخمسون سنة[٦]. وذكر ابن تيمية أن الكندي عمل للإسلام طالعا، فوجد أنه ينقضي عام ثلاث وتسعين وستمائة من الهجرة[٧]. ولعل ذلك في رسالته في عمر الإسلام**

---

(١) الفهرست، ص ٣٣٢.

(٢) الفهرست، ص ٣٣٤.

(٣) تاريخ الأدب العربي، ٤/ ٢٠٢ ـ ٢١١.

(٤) راجع: الفهرست لابن النديم، ص ٣٣١ إلى ٣٣٤. طبقات الأمم، ص ٧٤، ٨١. تاريخ الأدب العربي ٤/ ٢٠٢، ٢٠٥، ٢١٠. أما المتوكل والمعتمد والمعتضد فمن خلفاء بني العباس.

(٥) راجع: تاريخ الأدب العربي، ٤/ ١٣٣ ـ ١٣٤. والكندي هو يعقوب بن إسحاق، فيلسوف العرب، وصلتنا بعض كتبه، توفي عام ٢٦٠هـ، وقد عاش بالعراق انظر: الأعلام، للزركلي، ٩/ ٢٥٥.

(٦) تاريخ الأدب العربي، ٤/ ١٢٧.

(٧) الفتاوى، ٣٥/ ١٨٩.

**وطوالعه من قرانات الكواكب[١].**

**٢ـ أبو معشر جعفر بن محمد البلخي، عالم أهل الإسلام بأحكام النجوم وصاحب التآليف الشريفة، بتعبير القاضي صاعد[٢]. ولا تزال شهرته ـ باعتباره منجما كبيرا ـ قائمة إلى اليوم. كان في البداية من أصحاب الحديث، وكان يضاغن الكندي ويغري به العامة ويشنع عليه بعلوم الفلاسفة، ثم إنه تحول إليها، وأعجب بالتنجيم خاصة، فدرسه في مرحلة متأخرة من عمره. ويقال إن الخليفة المستعين ضربه أسواطا لأنه خبّر بشيء قبل أن يكون[٣].**

وقد ترك في التنجيم كتبا كثيرة، ذكرها ابن النديم[٤]، وأورد بروكلمان منها سبعة وعشرين كتابا، منها المخطوط والمطبوع، عدا الترجمات اللاتينية لكثير منها. ومن هذه التصانيف التي وصلت إلينا:

- **المدخل الكبير إلى علم أحكام النجوم.**
- **مواليد الرجال والنساء.**
- **كتاب القرانات في البروج الاثني عشر، واتصالات الكواكب بعضها مع بعض.**
- **بغية الطالب في معرفة الضمير للمطلوب والطالب والمغلوب والغالب.**
- **معرفة النجوم وطبائع الناس[٥].**

**وفي القرن الرابع ظهر من كبار المنجمين[٦]:**

**١ـ أبو عبد الله ـ أو أبو جعفر ـ محمد بن سنان البتاني الصابئ الحراني، اعتنق الإسلام، وتوفي بالعراق سنة ٣١٧ هـ. وهو أيضا فلكي كبير، قال عنه القاضي صاعد: «ولا أعلم أحدا في الإسلام بلغ مبلغه في تصحيح أرصاد**

---

(١) نشرت هذه الرسالة بليبسك، سنة ١٨٧٥م، في ستة وأربعين صفحة، بحسب ما في دائرة المعارف الإسلامية، ٥/ ٤٩٥.

(٢) طبقات الأمم، ص ٧٦.

(٣) الفهرست، ص ٣٣٥. وانظر مصادر ترجمته في: تاريخ الأدب العربي، ٤/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٤) الفهرست، ص ٣٣٦.

(٥) تاريخ الأدب العربي، ٤/ ٢٠٦ إلى ٢١٠.

(٦) راجع: تاريخ الأدب العربي، ٤/ ١٨٤ إلى ١٨٧. ٢١٣ إلى ٢١٦. ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

**الكواكب وامتحان حركاتها، وله بعد ذلك عناية بأحكام النجوم أدته إلى التأليف في ذلك، فمن تآليفه فيها كتاب في شرح المقالات الأربع، لبطليموس»[١].**

**٢ـ كوشيار بن لبان الجيلي. له: المدخل في صناعة أحكام النجوم.**

**٣ـ أبو نصر الحسن بن علي المنجم القمي. من كتبه: البارع في أحكام النجوم والطوالع.**

**٤ـ أبو سعيد أحمد بن محمد السجزي، الفلكي. مما وصل إلينا من كتبه: كتاب المزاجات، أو مزاجات الكواكب. وكتاب القوانين التي يستعملها المنجم في استنباط القضاء من النجوم... وغيرها.**

**٥ـ أبو الحسن علي بن أبي سعيد الصدفي، فلكي عظيم، خدم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، ووضع له «الزيج الحاكمي» المشهور. توفي الصدفي سنة ٣٩٩ هـ. ومن كتبه: الغيب، جداول فلكية. وبلوغ الأمنية فيما يتعلق بطلوع الشعرى اليمانية، وهو ملاحظات تنجيمية عن صور البروج التي يكون فيها القمر وقت طلوع الشعرى.**

أما في الغرب الإسلامي فقد اشتهر من أبنائه المنجمين أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني القيرواني، وقد عاش مدة في بلاط الأمير المعز بن باديس المنصور من بني زيري. وتوفي بعد ٤٣٢ هـ[٢]. أهم كتب ابن أبي الرجال وأشهرها هو: البارع في أحكام النجوم. وله أيضا في هذا الفن منظومة شرحها قوم.

وفي الأندلس كان أبو عبيدة مسلم بن أحمد البلنسي المعروف بصاحب القبلة.. ممن عرف بالتنجيم، وكان مع ذلك صاحب فقه وحديث[٣].

لكن يظهر أن التنجيم لم ينتشر بالغرب الإسلامي، كما في المشرق. وقد كان

---

(١) طبقات الأمم، ص ٧٥ ـ ٧٦. وانظر الفهرست، ص ٣٣٨.

(٢) تاريخ الأدب العربي، ٤/٢٢٦.

(٣) طبقات الأمم، ص ٨٦. راجع كتب التراجم والطبقات العامة، ففيها ذكر كثير ممن اشتغل بالتنجيم أو ألف فيه. وقد أورد ابن الأكفاني بعض كتب التنجيم، وفيها المختصرة، والمداخل إليه، والمنفردة ببعض أجزائه، انظر إرشاد القاصد، ص ٦٦ ـ ٦٧.

في الأندلس ـ كما أوضح ذلك صاعد الأندلسي ـ مقاومة لعلوم الأوائل، من منطق وفلسفة وتنجيم.

وبحسب ما في دائرة المعارف الإسلامية فإن التنجيم ـ رغم معارضة أكثر العلماء والفلاسفة له ـ بقي منتشرا في المسلمين إلى حدود القرن التاسع عشر الميلادي، وكان له شأن في قصور السلاطين والأمراء، وبين العامة.. وكان في دخول الحضارة الغربية عامة ومذهب كوبرنيكوس خاصة القضاء المبرم على التنجيم بين المسلمين.(١)

لكنني أختلف مع هذا الرأي، وظني أن التنجيم ـ وإن وجد طيلة التاريخ الإسلامي ـ إلا أنه ظل فكرا هامشيا في الحضارة الإسلامية، وكانت ممارسته أمرا محدودا على العموم. أما تعليل هذا الكلام فموضعه هو الفصل الخاص بالفقه، لأنني أعتقد أن وضوح العقيدة وحزم الفقهاء..أمران مسؤولان عن إضعاف التنجيم العربي، وإلى حد بعيد.

لكن العرب برغم ذلك أضافوا أشياء كثيرة إلى التنجيم، فهم الذين فرقوا بوضوح بين التنجيم الأحكامي ـ القائم على تحديد الطالع ـ وبين التنجيم الطبيعي، وهم أصحاب فكرة المنازل التنجيمية..وقد امتاز المنجمون المسلمون بأنهم بلغوا شأوا بعيدا في الحسابات ودقتها.(٢)

يبقى أن أهم شيء يحمده المنجمون الغربيون المعاصرون للعرب ـ هذه الأمة المحبة للمعرفة، كما قالوا ـ ، هو أنهم أنقذوا التنجيم الذي كان مشرفا على الزوال والموت(٣) ، ثم نقلوه إلى أوربا فرعته واحتضنته بأكثر مما فعل العرب.

---

(١) مقال التنجيم، ٥/ ٤٩٥. أما N.Copernic ففلكي بولوني توفي سنة ١٥٤٣م اكتشف أن الأرض ليست هي مركز الكون، وأنها من يدور حول الشمس.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مقال تنجيم، ٥/ ٤٩٤.

(٣) انظر : Frédéric Maisonblanche : Poissons, p 15. Vierge, p 15.

# التنجيم بأوربا :

## العصر الوسيط:

طيلة حوالي خمسة قرون بعد سقوط روما في القرن الخامس الميلادي. كاد التنجيم يندثر من أوربا. لكنه عاود الظهور حوالي القرنين ١١ و ١٢، وذلك لسببين: بدء انتقال العلوم والمعارف العربية إلى أوربا، وتسامح مؤقت للكنيسة تجاه التنجيم(١).

وفي هذه الفترة برز من المنجمين الذين أضافوا أشياء إلى التنجيم: كومبانو طبيب البابا أوربان الرابع، في القرن الثالث عشر. والفلكي الألماني ريجيومونتانوس، المولود سنة ١٤٣٦. وبلاسيد دي تيتي، الذي ولد عام ١٦٠٣ (٢). وفي القرن الخامس عشر ترجمت أهم أعمال أبي معشر البلخي إلى اللاتينية(٣).

وقد استمر هذا الإحياء حتى وصل أوجه في القرن السادس عشر، رغم ما كانت تسببه أحيانا نبوءات المنجمين من فوضى عامة، خصوصا تلك التي تتعلق بكوارث قادمة(٤).

## النهضة: مرحلة التناقض.

تميزت النهضة بكشوفات علمية ضخمة، خصوصا في الفيزياء والفلك والجغرافيا، وبدا واضحا أن نظريات كوبرنيكوس وغاليلي ونيوتن حول فيزياء السماء، وما صححته من المعلومات الفلكية الخاطئة، كفيلة بالقضاء على التنجيم، إذ لم تبق للكواكب ـ وقد أصبحت موضوعا للدراسة ـ تلك الهالة المقدسة التي كانت لها في الماضي. أما فلك بطليموس ـ والذي كان التنجيم يستند إليه ويتأسس عليه ـ فقد انهار تماما، وأصبح ينتمي إلى تاريخ العلوم. ولذلك يقول بول: إن

---

(١) L'astrologie, p 96.

(٢) Principes d'astrologie scientifique, p 30 - 31 وإن كان الفلكي الألماني ودي تيتي محسوبين على عصر النهضة.

(٣) Encyclopaedia Universalis, art astrologie, 3/290.

(٤) اقرأ : L'astrologie, p 96 à 99

التنجيم انتهى ـ من الناحية التاريخية ـ مع قبول نظريات كوبرنيكوس[١].

لكن الذي حدث هو أنه بينما ضعف الاعتقاد في التنجيم في الأوساط العلمية والمثقفة على العموم، إذا به يقوى بين عامة الناس[٢].

يقول ديكارت ـ مثلا ـ : «أنا أعرف ما يكفي عن المعتقدات السيئة وعن قيمتها، ولذلك لا يمكن أن أخدع بها، لا بوعود كيميائي ما، ولا بتنبؤات منجم..»[٣]

وهكذا تم حذف كرسي التنجيم من جامعة باريس منذ سنة ١٦٤٥م[٤].

ومن جهة أخرى لم يكن رفض التنجيم إجماعا بين علماء النهضة، حتى إنك لا تجد في القرن السادس عشر ـ العصر الذهبي للتنجيم الأوربي ـ ملكا أو أميرا أو شخصية هامة في الكنيسة ـ أو غيرهم من الشخصيات العامة ـ . . ليس له منجم أو أكثر يسترشد بنبوءاته[٥]. وهذا كاردان، فيلسوف وعالم، كان منجما معروفا، ووضع طوالع لكثير من المشاهير كمارتن لوثر وإرازموس، بل لم يتردد حتى في وضع طالع للمسيح نفسه، عليه السلام[٦].

بل الذي يبدو أن التصديق بالتنجيم، وحتى بالسحر، واللجوء إليهما . . كل ذلك زاد وانتشر مع النهضة. والباحثون يسجلون ذلك ويستغربونه[٧]، ولا أدري ما تعليله.

---

(١) L'occultisme devant la science, p 35. و M.Boll كاتب فرنسي معاصر، وله كتب كثيرة، خصوصا في العلوم وآثارها اليوم، أما G.Galilée فيزيائي وفلكي إيطالي(١٦٤٢)، واصل عمل كوبرنيكوس، ومهد لإسحاق نيوتن (١٧٢٧) الذي اكتشف نهائيا قوانين ميكانيكا السماء..

(٢) L'astrologie, p 104.

(٣) Discours de la méthode , p 22. : René Descartes الفيلسوف الفرنسي ومؤسس الفلسفة الحديثة، توفي سنة ١٦٥٠. له أيضا : تأملات ميتافيزيقية. وأعمال في الرياضيات والبصريات.

(٤) Hervé Barreau: L'épistémologie, p 15.

(٥) Quelques sciences captivantes, p 207.

(٦) انظر : Encyclopaedia Universalis, article Cardan, 4/1013. و Jérome Cardan (١٥٠١م ـ ١٥٧٦) فيلسوف وطبيب ورياضي إيطالي. قدم حلولا لمعادلات الدرجتين ٣ و ٤. وهو في الفلسفة يميل إلى شكل من وحدة الوجود. أما M.Luther فألماني، قاد الإصلاح الديني بأوربا، له كتب كثيرة وتوفي سنة ١٥٤٦. ومعاصره D.Erasme هو الآخر رجل دين هولندي (١٥٣٦)، له: في مدح الجنون.

(٧) اقرأ : L'astrologie, p 105 .L'épistémologie, p15. Quelques sciences captivantes, p 207

## صدى التنجيم في أعمال أدبية من القرن السابع عشر:

وإذا تحولنا إلى الأدب ـ وهو تأريخ غير مباشر، في نظري ـ وجدنا التنجيم فيه حاضرا، بقبوله أو برفضه، كل ذلك يدل على انشغال الناس به.

في إحدى أوائل الروايات الفرنسية ـ أميرة كليف ـ تحكي الكاتبة لافاييت[١] كيف كانت حاشية الملك مهتمة جدا بأمور التنجيم والطوالع، وكيف انقسمت في مسألة صدق نبوءات المنجمين. فبالنسبة إلى بعضهم تدل النبوءات التي تحققت على أن للتنجيم أصلا صحيحا، بينما تدل ـ عند البعض الآخر ـ على أنها كانت بالاتفاق فقط. والكاتبة أيدت التنجيم بصفة غير مباشرة، لأنها حققت في روايتها ما رواه الملك لحاشيته عن المنجم الذي تنبأ له بموته في ظروف محددة[٢]. وزمن هذه الرواية هو القرن ١٦، والكاتبة عاشت في القرن ١٧، وكانت قريبة من حاشية لويس الرابع عشر.

أما لافونتين[٣] فقد خصص للتنجيم قصتين، صاغهما شعرا، يذكرهما ثم يعلق عليهما ويستنبط منهما حكمة أو فائدة، على عادته في حكاياته التي تشبه إلى حد ما قصص كليلة ودمنة. القصة الأولى هي قصة المنجم الذي سقط في بئر، فقيل له: يا مسكين! بينما لا ترى ما تحت رجليك إلا بصعوبة، تزعم أنك تقرأ ما فوق رأسك. ثم يسمي لافونتين واضعي الطوالع بالمشعوذين ويصيح فيهم أن اخرجوا من بلاطات أمراء أوربا[٤]. أما الحكاية الثانية وعنوانها «الطالع»، فقد استهلها لافونتين بحكمة مضمونها أن الإنسان كثيرا ما يلقى ما قدر له، وهو في طريقه لتجنب هذا القدر. من ذلك أن رجلا كان له ابن عزيز عليه جدا، وبلغ من حرصه

---

(١) Madame de Lafayette كاتبة فرنسية، استقرت بباريس سنة ١٦٥٩، حيث فتحت صالونا أدبيا. من كتبها مذكرات البلاط الفرنسي لسنتي ١٦٨٨، ١٦٨٩. وكان لها دور سياسي محدود. تنتمي روايتها « أميرة كليف» إلى صنف الرواية السيكولوجية، وهي من أهم روايات القرن ١٧. توفيت لافاييت سنة ١٦٩٣.

(٢) اقرأ الرواية : La princesse de Clèves, p 143 - 144

(٣) Jean de la Fontaine شاعر وقاص فرنسي. أهم أعماله « الحكايات»، التي يبدو فيها نفس من الأخلاق الأبيقورية، وتغلب عليها رؤية تشاؤمية للواقع. توفي لافونتين سنة ١٦٩٥.

(٤) (الحكايات) La Fontaine: Les fables, 1er recueil, fable XIII.

عليه أن سأل العرافين والمنجمين مسترشدا، فقال له أحدهم ينبغي أن تبعده عن الأسود خاصة، حتى يبلغ من العمر عشرين سنة. وكذلك كان، وكبر الطفل، ومع الزمن وعى سبب منعه وحرمانه من الخروج من القصر المغلق مع زملائه، للصيد واللعب. وكان هذا الحرمان مصدر ألم وتعاسة له. ذات يوم رأى في أحد بيوت القصر مجموعة من اللوحات بينها لوحة عرف أنها تصور أسدا. ذكرته الصورة بمعاناته، واشتد غضبه، فضرب صورة الأسد في اللوحة بيده، بقوة وعنف. كان في اللوحة مسمار غير بين، دخل في يده، فقتله[١].

## التنجيم والدين والأسطورة:

إن العلاقة بين أطراف هذا الثالوث ثابتة، لكنها ـ في بعض جوانبها ـ معقدة وغامضة.

لقد كان التنجيم ـ بين يدي الكهنة الكلدانيين ـ ديانة مستقلة ومتميزة[٢]. فأكبر الآلهة عند البابليين ـ في الألفية الثانية ق.م ـ مردوخ هو المشترى، والإلهة عشتار هي كوكب الزهرة، والإله شماش هو الشمس... [٣]

وأصل هذه الديانة سومري ـ في الألفية الثالثة ق.م ـ ، فعندهم خلقت الآلهة الكبيرة ـ وهي ثلاثة: عنوم ملك السماء، وإنليل ملك الأرض، وعن ملك البحر ـ الآلهة التي هي هذه الكواكب والنجوم المعروفة منذ ماض غابر. وهذه الآلهة من النجوم هي التي تتكلف مباشرة بشؤون الإنسان[٤].

ومن جهة أخرى خصصت ميثولوجيا بعض الشعوب القديمة للكواكب السبعة: زحل، والمشترى، والزهرة... حيزا هاما من قصصها ورموزها[٥]. ويرى بعض الكتاب أن التنجيم هو التطبيق العملي للهرمسية[٦]. وتقول السيدة ميرتينس:

---

(١) Les fables, fable XVI.

(٢) Principes d'astrologie scientifique, p 10.

(٣) Principes d'astrologie, p 14. Ency. Uni, 3/283, astrologie.

(٤) Précis d'histoire ancienne, p 17,19 , 20

(٥) انظر في هذه المسألة بالضبط: L'occultisme du zodiaque, p 50 à 54.

(٦) من مقدمة ناشر كتاب بابوس: Editeur du livre du Papus :"Traité élémentaire d'occultisme et d'astrologie" , p 227

الأسطورة مرتبطة بقوة بالتنجيم، وكتابي هذا يثبت ذلك[١].

إن البروج الاثني عشر عبارة عن تراتبية في السماء تقابل ـ أو تعكس ـ تراتبية أخرى للآلهة الكبيرة. في الاعتقاد اليوناني ـ الروماني الوثني، مقابل برج الثور مثلا هو الإلهة الزهرة، ومقابل الجوزاء هو أبولو[٢]. وليس هذا شيئا يخص اليونان فقط، ففي الهند اعتقاد مماثل في اثني عشر قوة سماوية (جايا Jayas)، وكذلك في بلاد فارس (Akhtars)[٣].

وقد اعتبر توكر أنه لا مفر من قيام هذه العلاقة بين الدين والتنجيم، لأنهما يشتركان في النظر في قضايا موحدة، وفي تحديد موقف منها، وهي مسائل: القدر، والمصير الإنساني، والحرية، والجانب الأخلاقي.. ونحو ذلك[٤].

## عبادة الكواكب في البشرية:

اعتقد كثير من قدماء الأمم أن كل ما يحدث في العالم هو من فعل الكواكب، وأنها الواسطة بينهم وبين الإله الأكبر أو الآلهة الأكبر، فعظموها وقربوا لها القرابين. ثم وضعوا لكل كوكب صنما خاصا، فكانوا إذا توجهوا إلى التمثال أو عبدوه أو قدموا له شيئا، قصدوا بذلك كوكبا معينا، واعتقدوا «أنهم إذا عظموا ما صوروا من الأصنام تحركت لهم الأجسام العلوية من السبعة بكل ما يريدون، وبنوا لكل صنم بيتا وهيكلا مفردا، وسموا تلك الهياكل بأسماء تلك الكواكب»[٥]. قال صاعد: «وإنما كانت عبادتهم لها ضربا من التدين بدين الصابئة، في تعظيم الكواكب والأصنام الممثلة بها في الهياكل لا على ما يعتقده الجهال بديانات الأمم وآراء الفرق من أن عبدة الأوثان ترى أن الأوثان هي الآلهة الخالقة للعالم... دليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾»[٦].

---

(١) L'occultisme du zodiaque,p77 والسيدة مارغريت ميرتينس كاتبة في العلوم الخفية، ودرست معتقدات الهند.

(٢) Papus : Traité élémentaire...p 303.

(٣) L'occultisme du zodiaque, p 40 راجع التفاصيل في هذا الكتاب الذي اهتم بهذه الناحية بالخصوص، ص ٧١ إلى ١٤١.

(٤) Principes d'astrologie scientifique, p 8.

(٥) مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن المسعودي، ٢/٢٣٦.

(٦) طبقات الأمم، ص ٥٧ ـ ٥٨. والآية ٣ من سورة الزمر.

**العرب:**

جاء في القرآن ذكر كوكب الشعرى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾، سورة النجم، ٤٩. وذلك لأن بعض العرب عبدته، فنبه على أنه مربوب لغيره[١].

والشعرى نجم من نجوم برج الجوزاء، شديد الضياء. وهو من البروج الربيعية، أي التي تكون مدة حلول الشمس فيها هي فصل الربيع[٢]. «وقد كان للشعرى من اهتمام الأقدمين حظ كبير. ومما هو معروف أن قدماء المصريين كانوا يوقتون فيضان النيل بعبور الشعرى بالفلك الأعلى، ويرصدونها من أجل هذا ويرقبون حركاتها. ولها شأن في أساطير الفرس وأساطير العرب على السواء»[٣].

والذي عبد الشعرى في الجزيرة هو قبيلة خزاعة، وكانت مجاورة لأهل مكة، والجمهور أنه لم يعبدها من قبائل العرب غيرهم[٤].

**الصابئة:**

على أن أهم وأشهر طائفة عبدت النجوم هي الصابئة، وكانوا كثيرا بالعراق. فهؤلاء اعتقدوا أن «الكواكب هي المدبرات والواردات والصادرات، وهي التي بمرورها في أفلاكها وقطعها مسافاتها واتصالها بنقطة وانفصالها عن نقطة يتم ما يكون في العالم من الآثار: من امتداد الأعمار وقصرها، وترك البسائط، وانبساط المركبات، وتتميم الصور، وظهور المياه وغيضها، وفي النجوم السيارة و في أفلاكها التدبير الأكبر، وغير ذلك مما يخرج وصفه عن حد الاختصار والإيجاز»[٥].

عظم الصابئة الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر وصوروها في هياكلهم، وقالوا بقدمها، وقربوا لها الذبائح. ثم تطور بهم الأمر إلى تعظيم الهياكل ذاتها[٦].

---

(١) راجع: مفاتيح الغيب، ٢٩/ ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ١٧/ ٧٨. التحرير والتنوير، ٢٧/ ١٥٠.

(٣) في ظلال القرآن، ٧/ ٦١٥.

(٤) التحرير والتنوير، ٢٧/ ١٥١. وقارن بـ: طبقات الأمم، ص ٥٧.

(٥) مروج الذهب، ١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣. (والصابئة بالفرنسية هم Nabatéens ou Sabéens)

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، ١/ ٨٨.

وهذه الطائفة من أقدم الطوائف الدينية في التاريخ الإنساني، حتى قال ابن حزم: «كان الذي ينتحله الصابئون أقدم الأديان على وجه الدهر، والغالب على أهل الدنيا، إلى أن أحدثوا فيه الحوادث وبدلوا شرائعه.. فبعث الله عز وجل إليهم إبراهيم..»[١]

والصابئة فرق مختلفة، وقد اعتنى الشهرستاني ببيان مذاهبهم وشرح اعتقاداتهم، وذكر أن إبراهيم عليه السلام ناظر بعض فرقهم..في تفاصيل كثيرة أعرضت عنها لأنها ثانوية بالنسبة إلى ما نحن فيه[٢].

## الصابئة في القرآن الكريم:

وقد أشار الكتاب الكريم إلى هذه الطائفة في ثلاثة مواضع، ففي سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ، وَعَمِلَ صَٰلِحًا ، فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ آية ٦٢. وفي سورة المائدة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ، وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ، مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. آية ٦٩ . وفي سورة الحج: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [١٧] .

وقد كان هذا الدين معروفا للعرب في الجاهلية، بسبب جوار بلاد الصابئة بالعراق والشام لبعض القبائل العربية مثل ديار بكر وتغلب..ولذلك كانوا يطلقون على العربي إذا أسلم كلمة صابئ[٣].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ١/ ٨٨. والمؤلف هو أبو محمد علي بن أحمد (٤٥٦هـ)، عالم الأندلس وأحد أئمة الإسلام، كثير التصنيف. الأعلام، ٥/ ٥٩.

(٢) كتاب الشهرستاني: الملل والنحل، ٢/ص٩٥ إلى ١٥٤، هو من أهم المصادر الإسلامية في موضوع الصابئة. وكذلك ابن النديم في فهرسته، ص ٣٨٣ إلى ٣٩١، في أول المقالة التاسعة، وفيها وصف مذاهب الحرنانية الكلدانيين المعروفين بالصابئة. وقد ذكر ـ غير المعتقدات ـ عاداتهم وبعض رجالهم. وانظر أيضا : تفسير المنار ، ١/ ٣٣٥، ٣٣٧.

والشهرستاني هو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، المتكلم الأشعري. تتلمذ لأبي القاسم الأنصاري وأبي نصر القشيري، وسمع الحديث بنيسابور، ورحل إلى بغداد. توفي بشهرستان ـ وهي قريبة من نيسابور ـ سنة ٥٤٨هـ. من تصانيفه الأخرى: نهاية الإقدام في علم الكلام. عن معجم المؤلفين، ١٠/ ١٨٧.

(٣) التحرير والتنوير ، ١/ ٥٣٦.

لكن العلماء اختلفوا في هؤلاء الصابئين الذين ورد ذكرهم في القرآن، وأهم آرائهم ما يلي:

١ـ **الصابئة قوم لا دين لهم غير فطرة التوحيد. قال ابن كثير: «وأظهر الأقوال، والله أعلم، قول مجاهد ومتابعيه، ووهب بن منبه: أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه. ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابئ، أي: إنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك»**[١].

٢ـ **وقريب من هذا المذهب الأول قول من قال الصابئة هم الذين لم تبلغهم دعوة نبي قط**[٢].

٣ـ **وقيل هم طائفة من أهل الكتاب، كان عندهم كتاب يقرأونه، وبعضهم قال هم كالمجوس**[٣]. **وفي دائرة المعارف الإسلامية أن اسم الصابئة أطلق على فرقتين متمايزتين تماما: الأولى، المندايا، أو الصبوة، وهي فرقة يهودية نصرانية تمارس شعيرة التعميد في العراق، وهؤلاء نصارى يوحنا المعمدان، أي يحيى عليه السلام. والثانية، صابئة حران، وهي فرقة وثنية بقيت أمدا طويلا في ظل الإسلام. والقرآن الكريم إنما ذكر الفرقة الأولى**[٤].

٤ـ **واختار كثير من العلماء ـ ومنهم الرازي ـ**[٥] **أن الصابئة قوم يعبدون الكواكب. قال القرطبي: «والذي تحصل من مذهبهم ـ فيما ذكره بعض علمائنا ـ أنهم موحدون معتقدون تأثير النجوم، وأنها فعالة، ولهذا أفتى أبو سعيد الإصطخري القادر بالله بكفرهم حين سأله عنهم»**[٦].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ١٣٣. وابن كثير هو عماد الدين إسماعيل (٧٧٤ هـ)، حافظ ومؤرخ من الشام. الأعلام، ١/ ٣١٨. ومجاهد هو ابن جبر، تلميذ ابن عباس في علم التفسير.

(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ١٣٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ١/ ٢٩٥.

(٤) دائرة المعارف، مقال صابئة، ١٤/ ٨٩.

(٥) في كتابه: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٩٠. وهو فخر الدين محمد بن عمر (٦٠٦هـ)، إمام في المعقول والمنقول، كثير من كتبه مطبوع.انظر الأعلام، ٧/ ٢٠٣.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، ١/ ٢٩٥. والإصطخري هو الحسن بن أحمد، قاضي قم. من أئمة الشافعية الكبار. وكان صلبا في قضائه، ورعا متقللا من الدنيا. توفي ببغداد سنة ٣٢٨هـ. انظر طبقات الشافعية، =

وقال ابن عاشور: «وجامع أصل هذا الدين هو عبادة الكواكب السيارة والقمر وبعض النجوم مثل نجم القطب الشمالي، وهم يؤمنون بخالق العالم وأنه واحد حكيم مقدس عن سمات الحوادث، غير أنهم قالوا إن البشر عاجزون عن الوصول إلى جلال الخالق فلزم التقرب إليه بواسطة مخلوقات مقربين لديه، وهي الأرواح المجردات الطاهرة المقدسة، وزعموا أن هذه الأرواح ساكنة في الكواكب وأنها تنزل إلى النفوس الإنسانية وتتصل بها بمقدار ما تقترب نفوس البشر من طبيعة الروحانيات، فعبدوا الكواكب بقصد الاتجاه إلى روحانياتها، ولأجل نزول تلك الروحانيات على النفوس البشرية يتعين تزكية النفس بتطهيرها من آثار القوى الشهوانية والغضبية بقدر الإمكان، والإقبال على العبادة بالتضرع إلى الأرواح وبتطهير الجسم والصيام والصدقة والطيب، وألزموا أنفسهم فضائل النفس»[(١)].

واعتبر كثير من الأخباريين أن الصابئين الذين وجدهم المسلمون بالعراق حين فتحوها هم المذكورون في القرآن، وقالوا كان أسلافهم من أصحاب إبراهيم، وهم أهل حران، ثم فسد بعضهم واعتقدوا بالكواكب[(٢)].

أما لو وصف القرآن الصابئين بالإيمان، فللمفسرين بحوث في ذلك وأجوبة متعددة يجدها القارئ في أهم التفاسير، لكن لا بأس بذكر بعضها على سبيل التمثيل واستكمالا لهذا المبحث: فقيل المعنى أن من آمن بالنبي الذي كان في عهده نجا، فللناس التمسك بالتوراة إلى زمان عيسى، فإذا بعث لزمهم اتباعه، ثم ذلك إلى زمن النبي الخاتم، وبعده لا يقبل غير الإسلام، كما في الآية الأخرى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ آل عمران، ٨٥[(٣)].

وقال ابن عاشور: «معنى من آمن بالله: الإيمان الكامل، وهو الإيمان برسالة

---

= لابن السبكي، ٣/ ٢٣٠ فما بعدها، وفيها خبر هذه الفتوى. والقادر بالله خليفة عباسي. أما القرطبي فهو أبو عبد الله محمد بن أحمد (٦٧١هـ)، رحل إلى الشرق، وكان ورعا عابدا. أما القرطبي أبو العباس صاحب شرح مسلم فشيخه.

(١) التحرير والتنوير، ١/ ٥٣٤. وابن عاشور هو محمد بن الطاهر (١٢٨٤هـ)، كبير علماء تونس في زمانه. له عناية بالأدب أيضا. الأعلام، ٧/ ٤٣.

(٢) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ٦/ ٧٠١ ـ ٧٠٢.

(٣) راجع تفسير ابن كثير، ١/ ١٣٢.

محمد ﷺ، بقرينة المقام، وقرينة قوله: «وعمل صالحا»، إذ شرط قبول الأعمال الإيمان الشرعي»[١]. ولذلك ففي قوله «من آمن» يجوز أن تكون «من» شرطا في موضع الابتداء، ويكون معنى الكلام: من يؤمن منهم بالله ويعمل صالحا فله أجره، ويكون المقصود منه فتح باب الإنابة لهم بعد أن قرعوا بالقوارع السالفة في الآية قبل هذه. ووجه الاقتصار على الأديان الثلاثة أنهم أرجى لقبول الإسلام من المجوس والدهريين، لأنهم يثبتون الإله المتفرد بخلق العالم ويتبعون الفضائل، على تفاوت بينهم في ذلك[٢].

## استمرار عبادة الكواكب إلى اليوم:

والصابئة وإن شكلوا قديما شعبا كبيرا أو طائفة هامة، إلا أن عددهم بدأ ـ مع الزمن يقل شيئا فشيئا ـ ربما لأن ديانة الصابئة حوصرت من طرف العقائد الكبيرة: المجوسية، ثم المسيحية،

فالإسلام. وقد لاحظ ابن حزم ـ في القرن الخامس الهجري ـ تضاؤل عدد الصابئين[٣]. وكنت ـ من حوالي عشر سنوات ـ قد قرأت كتابا في الموضوع لكاتب عراقي معاصر، هو عبد الرزاق الحسيني، عنوانه: «الصابئة قديما وحديثا»[٤]. ولا يحضرني الآن هذا الكتاب، ولكنني ما زلت أذكر أنه قال إن بالعراق اليوم بضع عشرات الآلاف من الصابئين. ولا يستبعد أن يكون في قبائل الهنود، والهنود الحمر، والشعوب البدائية الإفريقية والأسترالية، كالبيكمي، من يعبد الكواكب إلى الآن.

ومن عجائب بلاد الهند أن أحد ملوكها «المسلمين» قام بمحاولة لإحياء عبادة النجوم، وهو أحد ملوك الدولة المغولية المسلمة التي حكمت أكثر الهند زمانا. هذا الملك ـ واسمه أكبر ـ بدأ حياته متمسكا بالإسلام، تقليدا للآباء، وكان هو نفسه أميا. ثم بدا له أن يضع ديانة جديدة سماها الدين الإلهي الأكبري، ومما فيها تعظيم النار وعبادة الشمس، مصدر النور والحياة. وجعل العيد الأول للدولة هو

(١) التحرير والتنوير، ١/٥٣٩.

(٢) التحرير والتنوير، ١/٥٣٨.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ١/٨٩.

(٤) الكتاب بخزانة الشريف الإدريسي التابعة لوزارة الثقافة بمدينة وجدة، تحت رقم ١١٢٤.

مهرجان نوروز، عندما تكمل الشمس دورتها السنوية وتدخل في برج الحمل، فتفيد أهل الدنيا ببركاتها. .إلى غير ذلك من حماقاته الكثيرة[١].

وللآن لم أفهم لم يطول حكم مثل هذا الرجل ـ من ٩٦٣ هـ إلى عام ١٠١٣ ـ ، وهو لا عقل له ولا دين، مثله مثل الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، بينما يحكم أمثال أبي بكر الصديق وعمر بن عبد العزيز سنتين أو أقل؟

وربما كان عمل الملك أكبر هو المحاولة الوحيدة لإحياء عبادة النجوم في ديار المسلمين، ولا أعرف لها نظيرا.

من التنجيم إلى عبادة النجوم، أو العكس؟

إن العلاقة بين الأمرين ثابتة[٢]، فمن اعتقد أن الكواكب أرباب مستقلة أو وسائط بين العالم والإله الخالق. .لا بد أن يؤمن بفعالية النجوم وتأثيرها على شؤون الأرض. وكذلك لا يبعد أن يفضي الاعتقاد في تأثير الكواكب إلى الاعتقاد في ألوهيتها.

والذي يظهر أن الإنسان في البداية عبد الكوكب، ظانا أنه لسموه وارتفاعه ونوره رب من الأرباب، ولذلك أسند إليه كل شيء يقع على الأرض، فنشأ التنجيم.

يقول الرازي في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ، حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾. سبأ ٢٢ ـ ٢٣:

«لما بين الله تعالى حال الشاكرين وحال الكافرين وذكرهم بمن مضى، عاد إلى خطابهم وقال لرسوله ﷺ قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم من دون الله ليكشفوا عنكم الضر، على سبيل التهكم، ثم بين أنهم لا يملكون شيئا بقوله ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

---

(١) انظر تفصيل مرحلة الملك أكبر والظروف العامة للهند.. في كتاب أبي الحسن الندوي: الإمام السرهندي، حياته وأعماله، خصوصا صفحات ١٠٠ إلى ١٠٣.

(٢) في الفرنسية اصطلاحان مختلفان: عبادة الكواكب باعتبارها آلهة: . Astrolˆtrie والتنجيم: .Astrologie

واعلم أن المذاهب المفضية إلى الشرك أربعة (أحدها) قول من يقول الله تعالى خلق السماء والسماويات وجعل الأرض والأرضيات في حكمهم، ونحن من جملة الأرضيات فنعبد الكواكب والملائكة التي في السماء فهم آلهتنا والله إلههم، فقال الله تعالى في إبطال قولهم (إنهم لا يملكون في السماوات شيئا) كما اعترفتم، قال ولا في الأرض على خلاف ما زعمتم. (وثانيها) قول من يقول السماوات من الله على سبيل الاستبداد والأرضيات منه، ولكن بواسطة الكواكب، فإن الله خلق العناصر والتركيبات التي فيها بالاتصالات والحركات والطوالع فجعلوا لغير الله معه شركا في الأرض، والأولون جعلوا الأرض لغيره والسماء له، فقال في إبطال قولهم ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ أي الأرض كالسماء لله لا لغيره، ولا لغيره فيها نصيب. (وثالثها) قول من قال: التركيبات والحوادث كلها من الله تعالى لكن فوض ذلك إلى الكواكب، وفعل المأذون ينسب إلى الآذن ويسلب عن المأذون فيه، مثاله إذا قال ملك لملوكه اضرب فلانا فضربه، يقال في العرف الملك ضربه، ويصح عرفا قول القائل ما ضرب فلان فلانا، وإنما الملك أمر بضربه فضرب، فهؤلاء جعلوا السماويات معينات لله، فقال تعالى في إبطال قولهم ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ ما فوض إلى شيء شيئا، بل هو على كل شيء حفيظ ورقيب. (ورابعها) قول من قال إنا نعبد الأصنام التي هي صور الملائكة ليشفعوا لنا»[1].

ولعل القارئ لاحظ أن كلام الرازي يفيد أن أكثر أبواب الشرك وأهمها لها علاقة بتعظيم الأفلاك. ولذلك يقول كوديرك: التنجيم يستبطن الاعتقاد في تعدد الآلهة، والخصائص التي ينسبها التنجيم إلى الكواكب هي في الواقع صفات آلهة الوثنية اليونانية. فمثلا كوكب زحل يقابل الإله كرونوس الذي كان يفترس أبناءه، ولذلك فزحل كوكب شرير لا يحمل خيرا. . .هكذا لا تزال الآلهة القديمة حية حاضرة عبر التنجيم، وبصفة غير مباشرة، أي في صورة كواكب فاعلة[2].

ومن هنا يبدو جليا أن الاعتقاد بأن الكواكب والنجوم تحمل خيرا أو شرا، سعادة أو شقاء. . .أفضى ـ ويمكن أن يفضي في كل وقت ـ إلى الظن بأنها أرباب وآلهة.

---

(١) مفاتيح الغيب، ٢٥/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

(٢) L'astrologie, p 56.

## علم النجوم عند العرب في الجاهلية:

لم تكن للعرب ـ في جاهليتهم ـ معرفة بعلم الفلك والهيئة ولا عناية به، حتى عرب الجنوب ـ في بلاد اليمن ـ لم يكونوا على علم كاف بهذا العلم، وهم أكثر العرب علما وأوسعهم معرفة، ولذلك يقول القاضي صاعد عن هؤلاء: «ولم تكن ملوك «حمير» معتنية بأرصاد الكواكب ولا باختيار حركاتها، ولا بإيثار شيء من علوم الفلسفة. وكذلك كان سائر ملوك العرب في الجاهلية، ولم يبلغنا عن أحد منهم أنه بحث في شيء من ذلك»[١]. ويقول الأستاذ سزكين: «معرفة العرب قبل الإسلام كانت محدودة فيما يتعلق بعلم النجوم. كانوا يعرفون منازل القمر الثمانية والعشرين، والاثني عشر برجا، وفي غالب الاحتمال أسماء السيارات (يعني الكواكب غير الثابتة). ويبدو أنهم كانوا يتصورون الأرض مسطحة، والسماء فوقها كالقبة»[٢].

وهذا لا يعني أن الجزيرة العربية كانت خلوا من أي معرفة ـ ولو بسيطة ـ بعلم الفلك، يقول صاعد: «كان للعرب مع هذا معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها، وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها، على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة، لاحتياجهم إلى معرفة ذلك في أسباب المعيشة، لا على طريق تعلم الحقائق، ولا على سبيل التدرب في العلوم»[٣]. أي كانت معرفتهم معرفة تجربة لا دراسة. ولذلك يقول الخطيب البغدادي: «العرب تعرف أوقات المطر والرياح والحر والبرد بمطالع النجوم، ولهم في ذلك فضيلة بينة، وإذا رأوا السحاب عرفوا: هل هي ذات مطر أم لا؟ وهل مطرها كثير أو غير كثير؟ وهل هي مما قد أهراق ماءه أو ماؤه فيها؟»[٤] فظهر أثر ذلك كله في الشعر، فقد «أكثر العرب في أشعارهم أشياء من علم النجوم»[٥]، أورد الخطيب جملة منها[٦]. ولهم أيضا أسجاع كثيرة

---

(١) طبقات الأمم، ص ٥٥.

(٢) تاريخ العلوم العربية والإسلامية، لفؤاد سزكين، ص ٧٧ ـ ٧٨. وهو باحث تركي مقيم بألمانيا، حيث يدير معهدا لتاريخ العلوم عند المسلمين. وأهم كتبه «تاريخ التراث العربي» كتبه بالألمانية، ثم ترجم إلى العربية.

(٣) طبقات الأمم، ص ٥٩ ـ ٦٠. وانظر بعض معارف العرب عن أوقات المطر وأسماء النجوم ومطالعها... ونحو ذلك، في: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٨/ ٤١٩ إلى ٤٣٥.

(٤) القول في علم النجوم، للخطيب، ص١٥٧.

(٥) القول في علم النجوم، ص ١٤٣.

(٦) راجعها في كتابه: القول في علم النجوم، ص ١٤٣ إلى ١٤٥.

تلخص بعض تجاربهم في شؤون الطقس والفصول خاصة، فمن ذلك قولهم: إذا طلع الشرطان ـ وهما نجمان ـ ألقت الإبل أوبارها في الأعطان، واعتدل الزمان، واخضرت الأغصان، وتهادت الجيران. وإذا طلع البطين، طلعت الأرض بكل زين، واقتضي الدين، وحسن النبات في كل عين. وإذا طلع نجم الدبران، بات الفقير بكل مكان، ورمت بأنفسها حيث شاءت الصبيان، وكرهت النيران. وإذا طلع السماك، فأجد حذاك، وأصلح خباك، وصوب فناك، يعني للمطر. وإذا طلع الغفر، أتاك من البرد صدر، وقام الشعر، وطاب أكل التمر. وإذا طلعت البلدة، فشت الرعدة، وأصاب الناس من البرد شدة، وأحبوا عند النار القعدة..[1]. قال الخطيب: «ولهم من الأسجاع في هذا الضرب أكثر من هذا، ولهم أيضا أسجاع في تقدير مكث الهلال والقمر من أول ليلة من الشهر إلى عشر منه»[2].

وكذلك يبدو أن العرب لم يعرفوا التنجيم بتفصيل، أعني ذاك الذي كان عند الإغريق أو الفرس أو الهنود، فليس بين أيدينا ما يحملنا على الاعتقاد بأن العرب عرفوا التنجيم ومارسوه..وهذا أمر مفهوم، بما أن التنجيم يحتاج إلى حسابات فلكية دقيقة، وهو ما لم يكن متيسرا لهم في جاهليتهم تلك.

لكن الذي يترشح من الحديث النبوي خاصة، هو أن العرب كانوا يعرفون المبدأ الأساسي في التنجيم، وكانوا يؤمنون به، أعني أن حوادث الأرض مرتبطة بأوضاع السماء. ففي حديث ابن عباس أن النبي ﷺ حين أبصر نجما قد لمع واستنار في السماء، سأل أصحابه عن تفسيرهم الجاهلي لهذا الأمر، فأجابوه: كنا نقول ولد اليوم ملك عظيم، أو مات عظيم[3]. وكذلك كانوا يعللون كسوف الشمس وخسوف القمر بموت أحد أو بولادته أو بأن أمرا عظيما قد حدث، والعرب وإن عدوا التنجيم ضربا من ضروب التكهن أو الكهانة، إلا أنهم ميزوه عنه، وعن العرافة، والزجر، والسحر..ونحو ذلك. وقالوا هو النظر في النجوم، أي للتنبؤ بها. وإنما عرف العرب التنجيم تفصيلا في العهد الإسلامي من تاريخهم.

---

(١) لخصته من كتاب : القول في علم النجوم، ص ١٤٦ إلى ١٤٩.

(٢) القول في علم النجوم، ص ١٥٠. راجع التفاصيل في صفحات ١٥٠ إلى ١٥٦. والخطيب هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (٤٦٣هـ ) حافظ كبير ومؤرخ. منشأه ووفاته ببغداد. الأعلام ١/ ١٦٦.

(٣) كذا بالمعنى من رواية الترمذي في كتاب التفسير من سننه، حديث ٣٢٣٨، وقال حسن صحيح. ورواه أيضا مسلم في الصحيح، كتاب السلام، باب ٣٥، الحديث رقم ١٢٤ في الكتاب.